

اللسانيات الحديثة في النحو العربي

د. غانم عودة شرهان*

● المقدمة :

تركزت الدراسات اللغوية عند علماء الغرب في العصر الحديث حول مباحث اللسانيات التي كان من روادها (فرديناند دوسوسير) الذي عرف اللغة على انها نسق قائم في كل لحظة ومتطور مع الزمن لكنه مستحيل فصم تصورهما عن تاريخها كما ان لها جانبا فرديا واخر اجتماعيا ولكنهما مرتبطان والارتباط الثالث هو الملاحظ بين التلفظ والفكر وانطلاقا من نظريات دوسوسير اللغوية جدا الباحثون في اللسانيات او منهم من يقول الالسنة او عالم اللسان. ومما يزيد تعقيد مباحث اللسانيات ان الذين كتبوا عنها من المثقفين العرب تفرقوا شيعا وطوائف بحسب انتمائهم الى المدارس الغربية المختلفة فيما بينها وبعضهم انطلق من هذه المدارس وبحث في النحو العربي افتراضا ان نظريات مدرسة اللسانيات قابلة للتطبيق في كل لغة ومنهم اساتذة وباحثون سعوا الى تجديد مناهج النحو واستهوتهم النظريات اللسانية الحديثة فحاولوا على ضوئها اعادة تنظيم المعارف النحوية اعتمادا على المعطيات العلمية المتاحة عند علماء اللسانيات .

● المدارس النحوية وظهورها في المشرق والمغرب :

نلاحظ أن نشأة اي علم تبرز نتيجة ظروف خاصة، ثم نجد رواه يضعون لبناته شيئا فشيئا غير أن بناءه لا يكتمل إلا على يد شخصية فذة تؤصل قواعده الأساسية وتحكم طرق استثمار فروعه ، والذي يقوم بهذا العمل يسمى عادة إمام هذا العلم،

* جامعة بغداد - مركز احياء التراث العلمي العربي



وإمام علوم اللغة هو (الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي)، وعلى يده قد تكاملت أسس النحو ومنهجه وقامت اصوله في البصرة في النصف الثاني الهجري من القرن الثاني، فكان من نتاج فكره أن أملى علم النحو على تلميذه (سيبويه) الذي دونه وجمعه في كتابه . لقد بلغ عدد العلماء الذين عنوا بالكتاب وتخصصوا فيه دراسة وتأليفاً وشرحاً ما يقارب المائة في سائر الأقطار العربية المختلفة وأهم هذه الأقطار وأكثرها عدداً من أولئك العلماء بيئة الأندلس والمغرب إذ وجد هناك ما يقارب الأربعين عالماً عني عناية كبيرة بالكتاب^(١).

أما المذهب الثاني للنحو العربي فقد ظهرت ملامحه على يد الكساني (ت ١٨٩هـ) تلميذ الخليل أيضاً، إذ كان الكساني رأساً لهذا المذهب الجديد ومنظره، وهو نظير أبي عمرو بن العلاء البصري في كونه أحد القراء السبعة . لقد بحث موضوع اللغة في بداية نشأة علم الدلالة وعلوم الألسنية بوجه عام وهي مسألة شغلت جانباً كبيراً من تفكير العلماء قديماً وحديثاً .

إن البحث في أهل اللغة من المسائل الفكرية الصعبة التي بقي معها فكر العلماء يدور في حلقة مفرغة، بحيث أتسمت آراؤهم حول تحديد نشأة اللغة، وأجمع العلماء على أن النطق هو ميزة الإنسان الذي علمه الله البيان، وبرزت في هذه القصة ثلاثة اتجاهات: اتجاه يذهب إلى أن اللغة توقيفية طبيعية، واتجاه يذهب إلى أن اللغة عرفية من الله (عز وجل) مثل ما قال ابن فارس: معتمداً على ما يروي ابن عباس^(٢) اصطلاحية، تواضع

عليه الناس فتكلموا بلسان واحد قيل ما أصابهم في برج بابل؟ واتجاه ثالث يجمع بين الرأيين، ولم يتوصل الباحثون المحدثون إلى اتجاه يذهبون اليه، وأصبحت أبحاثهم لا تقدم لمسألة نشأة اللغة أي حل مقنع قد يفتح المجال أمام جهودهم، بل ازدادت تعقيداً، وحاول المحدثون من جديد حل ما يكتنف نشأة اللغات من لغز، اعتماداً على مراقبة تطور اللغة عند الأطفال، ومحاكاة الأصوات استقفاها الإنسان من الطبيعة، تدعم رأيها بوجود ألفاظ مأخوذة من أصوات تصدرها عناصر من الطبيعة، كالزقزقة، والخير، والخفيف، والعواء، والمواء وما إلى ذلك، رأي مماثل إليه نظرية الأصوات العاطفية، وتفيد أن الكلمات الأولى التي نطق بها الإنسان كانت أصوات عاطفية تعبر عن ألم أو دهشة أو فرح وغير ذلك^(٣).

● قضية اللغة

شغلت اللغة جانباً كبيراً من تفكير الإنسان، منذ فجر التاريخ، واقتترنت نشأة الخلق والكون بالكلمة، وبين الدين قداستها، وعرفت الحضارات قوتها وأجمع البشر على أن النطق هو ميزة الإنسان، الذي علمه البارئ البيان، وعلم آدم الأسماء، وابتكار اللغات وأصولها كان موضع اهتمام بالغ من طرف الفلاسفة، والمؤرخين، وعلماء الطبيعة، ويتساءلون هل هي توقيف من الله (عز وجل) مثلما يقول ابن فارس معتمداً على ما يروي عن ابن عباس؟ أم هي اصطلاح تواضع عليه الناس فتكلموا بلسان واحد قيل ما أصابهم في برج بابل؟^(٤). بحث موضوع اللغة في بداية نشأة علم الدلالة وعلوم الألسنية بوجه عام، من الجانب

التاريخي حيث اتسع مجال البحث في نشأة اللغة ، وهي مسألة شغلت اهتمام العلماء قديماً وحديثاً ، أما في المرحلة الثانية فقد بحث موضوع اللغة بمنهج وصفي آني وهو منهج يأخذ دراسة اللغة من جانب الداخلية باعتبارها اللغة نظاماً من الرموز اللسانية أو مجموعة من الأصوات الدالة . كما تناول علماء الدلالة وظائف اللغة والنواميس الخفية التي تتحكم في نظام بنيتها^(٥).

وحاول المحدثون من جديد حل ما يكتنف نشأة اللغات من لغز ، اعتماداً على مراقبة تطور اللغة عند الأطفال ، وعلى دراسة الشعوب البدائية . وقدموا نظريات متضاربة بعضها يجعل اللغة بدأت بمحاكاة الأصوات المسموعة في الطبيعة ، وبعضها يعود بها إلى ضرورة التعبير عن الانفعالات الداخلية من فائض فرح أو ألم أو استغراب ، ومنهم من يراها وليدة حاجة التواصل عند الإنسان في حياته الاجتماعية .

● الدلالة اصطلاحاً :

هي (كون الشيء بحاله يلزم من العلم به العلم بشيء آخر والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول)^(٦) .

فإذا نظرنا في جميع اللغات وجدناها تشتمل على ألفاظ عديدة ، واللفظ هو الصوت المعتمد على المخرج مطلقاً^(٧) ، سواء دل على معنى مثل : كتب ، أو لم يدل على معنى ، كالألفاظ المهملة^(٨) ، والذي يهم الباحث اللغوي هو اللفظ الدال على معنى ، لأنه هو الذي يؤلف التركيب اللغوي.

وقد اهتم العلماء القدماء والمحدثون بدراسة دلالة الألفاظ^(٩) ، ولعل ظهور المعاجم بمختلف

أنواعها منذ بدء الدرس اللغوي أكبر دليل على هذا الاهتمام، وللمفسرين مشاركة قيمة في هذا النمط من البحث وذلك من خلال تفسيرهم ألفاظ القرآن الكريم، وكان الذين تعرضوا لقضايا وثيقة الصلة بمباحث الدلالة، عرض لها خلال تفسيره آيات القرآن الكريم وألفاظه ولم يتعرض لتعريف الدلالة ، ولكنه اكتفى باستعراض بعض ظواهرها، إذ أورد البحث منها الظواهر الآتية :

إن الباحثين لما بحثوا في أصول اللغات وجدوا مسائل شديدة التعقيد لا تخضع لوسائل البحث التجريبية فكادوا يجمعون على أن اللغة جاءت نتيجة لمواضع بشرية مع الاعتراف بأن قضية التوقيف والاصطلاح تعني فلاسفة اللغة ، وليست من صميم مباحث النحو الذي يتناول بالوصف والتقويم قواعد لغة معينة قد كمل بناؤها وعرف نظامها .

إن الدرس الدلالي الحديث يهدف أساساً إلى التعرف على القوانين التي تشرف على النظام اللغوي، وذلك بتحليل نصوص لغوية يقصد ضبط المعاني المختلفة بأدوات محددة وفي هذا سعى إلى تنويع التراكيب اللغوية لأداء وظائف دلالية معينة ، وهذا التنوع هو الذي يثري اللغة إثراء يحفظ أصول هذه اللغة ولا يكون حاجزاً أمام تطورها وتجديدها ، ويمكن في خضم هذا البحث على النواميس الخفية "خلق" نواميس لغوية جديدة تشرق على النظام الكلامي والخطابي بين أفراد المجتمع الواحد؛ يقول عبد السلام المسدي شارحاً ذلك بتعريفه لدور النحوي : "أما النحوي - نعني فقيه اللغة بالاصطلاح المطرد- فمramه أن يعي وجود اللسان من خلال وجود الكلام ،



ويأتي عالم اللسان ليكون همه الوعي باللغة عبر إدراك نواميس السلوك الكلامي^(١٠)، ثم قسموا وحدات الجملة النحوية إلى الكلم وهو الأسماء والأفعال والحروف .

● دور سوسير ونشأة علوم اللسان

في أوائل القرن العشرين، تركزت الدراسات اللغوية عند علماء الغرب، في مباحث كان من روادها فرديناند دوسوسير، وكان أول من وضع نظرية لسانية تم عن فهم عميق لطبيعة العلاقة اللسانية ومدلولها، إذ يقول توليودومورو (Twllio de Mawro) وهو يعاني هذه المسألة في كتاب سوسير "محاضرات في اللسانيات العامة" "إن سوسير وجد في مبدأً اعتباطية العلامة اللساني، ما كان يصبو إليه من أجل إرساء نظرية لسانية، إضافة إلى أن سوسير في سياق حديثه عن اعتباطية العلاقة بين الدال والمدلول ... في بدء إلقاء دروسه على تلاميذه لم ينته سوى من الخطوة الأولى في طريق الفهم العميق لمبدأ الاعتباطية هذا يعني أن المفهوم العميق لهذا المبدأ عند سوسير، لا ينبغي تحديده انطلاقاً من بعض صفحات الكتاب لكن من قراءته كله"^(١١) أن يبرز مجموعة من القواعد اللغوية العامة، استنبطها من تحليلات علمية قام بها، استهدفت دراسة مكونات اللغة لِمَيِّز ما يعود منها إلى الظواهر الفسيولوجية، كانطلاق الصوت من جهاز الفم وتلقيه من جهاز السمع، ثم إلى الظواهر الفيزيائية مثلارتجاجات الصوت المنطلق عن الأقواه إلى الأذان . وأخيراً إلى الظواهر النفسانية مثل اقتران الصورة السمعية بمفهوم المنطوق، ثم لاحظ دوسوسير ما تضمنته اللغة من

ارتباطات بين وجوهها المتعددة، فقال "إنها نسق قائم في كل لحظة ومتطور مع الزمن، لكنه يستحيل فهم صورتها عن تاريخها مثل ما يدور في لعبة الشطرنج، كما أن لها جانباً فردياً وآخر اجتماعياً ولكنهما مرتبطان والارتباط الثالث هو الملاحظ بين التلفظ والفكر"^(١٢).

وله كلام مطول عن الفرق بين اللغة والكلام بوصفها مؤسسة مستقلة وهو بمثابة تعبير عن إرادة معينة.

وانطلاقاً من نظريات دوسوسير اللغوية جدّ الباحثون في اللغويات إلى إصدار علم جديد أطلقوا عليه : اللسانيات، (ومنهم من يقول الألسنية) أو علوم اللسان وأرادوا له أن يكون مستقلاً في منهجه مختصاً بقواعده العامة، ومصطلحاته الخاصة، ثم إنهم فرضوه على النحو فرضاً.

يختلف دوسوسير كثيراً عن تشومسكي في طبيعة النظام اللغوي ضمن اللغة أو القدرة إلا أن التمييز النظري واحد عندهما فكلاهما معني أساساً، وكذلك نحن، باستبعاد ما هو فردي أو عرضي بحث (الكلام أو الأداء) وبالإصرار على أن الدراسة الصحيحة للسانيات هي دراسة اللغة أو القدرة، غير أن اللغة أو القدرة عند كل من دوسوسير وتشومسكي نوع من النظام النموذجي بدون أية أسس تجريبية واضحة^(١٣)، وانتفع بعمل سوسير طائفتان من الناس، كونت كل طائفة منهما مدرسة لغوية ذات منهج خاص.

أما المدرسة الأولى مدرسة "براغ" فقد وجهت اهتمامها إلى ربط أصوات اللغة بالدلالة

والمعنى، واخترعت فكرة "الفونيم" لهذا الغرض .

أما المدرسة الأخرى فهي مدرسة "كوبنهاجن" وقد عنيت بطبيعة العلاقة اللغوية ، فجعلت طريقها إلى فهم هذه العلاقة تفكيراً مجرداً قريب الشبه من التفكير المنطقي غير اللغوي .

أما في أمريكا فلم تكن "الفيلولوجيا" نقطة البداية في نشأة الدراسة اللغوية ، وإنما بدأ الأمريكيون من الدراسات الانثويولوجية التي قاموا بها في مضارب القبائل الهندية الحمراء ، إذ كان بعض هذه الدراسات يمس لغات هذه القبائل ، وعلى الرغم من اختلاف نقطة البداية وجدنا الإطار العام لأفكار "بلومفيلد" إطاراً رصيناً لا يختلف كثيراً عما جاء به دوسوسير ، غير أن مدرسة بومفيلد عنيت بالمبنى على حساب المعنى ، إذ لا نجد لهذه المدرسة ولا لخلفائها عناية خاصة بدراسة المعنى . ويرجع ذلك إلى تشبع هذه المدرسة بأفكار علم النفس السلوكي وارتباطها بالتحويلات المادية^(١٤) .

ومع أن علم النحو ليس مادة سهلة في حد ذاتها ، لأنه وسيلة معرفة لغته التي ينطبق عليها ، ولا يتم استيعابها إلا بأحكام هذه اللغة ، فالدارس للغة لا يمكن أن يتقنها إلا إذا عرف نحوها ، ولن يعرف نحوها إلا إذا أتقنها ، وهذا "الدور" من أخرج الصعوبات المنهجية التي تواجه دارس النحو ، زد على ذلك دقة المفاهيم النحوية وعموضها ، ووفرة المصطلحات واختلافها وتعارض النظريات في الأقيسة والتعاليل .

وكان النحو لم يكتفِ بهذه الصعوبات الطبيعية ، فها هي اللسانيات الحديثة تضع عليه ما تنوء به العصبه أولي القوة ، فيقول

زعمائها إنه لابد من مواجهة أسس التراث النحوي ، ووضع تصور جديد مبني على وجود نحو علمي لجميع اللغات ، ولا بد من تقبل نظريات جديدة تحمل أسماء والتحويلية التوليدية ، ولا بد من تقبل مصطلحات جديدة ، ورموز حرفية للقيام بعمليات مماثلة لتلك التي نراها في المعادلات الرياضية ، ولا بد من تصور مشجرات تمثل رسوماً للقواعد الجديدة التي علينا أن ندرسها . ومما يزيد من هذه المصاعب ، حدة الشقاق بين زعماء المدارس اللسانية ، واعتبار كل واحد منهم هو صاحب الحق الأصوب^(١٥) .

ومن يقرأ ما كتبه بعض نحاة العرب عن اللسانيات ، تتبادر إلى ذهنه ، عبارة أحد المستشرقين ، الذي وصف التعريب بأنه "حصان طروادة للتعريب"^(١٦) وهو يعني أن مصطلحاتهم مترجمة من لغة غير العربية ، وأن إدراك مفاهيمها يتوقف على دراسة النظام الذي وردت في ضمنه . وإذا طالعنا مصطلحات أخرى مثل المورفام والمكون الفونولوجي ، فإنه يتضح لدى القارئ أن عليه فكراً من مآثور النحو العربي إلى تصور النحو في محيط فكري بعيد عما ألفه من قبل وإذا لجأ القارئ في اللسانيات إلى كتابات علماء معروفين برسوخ القدم في النحو العربي مثل الدكتور عبد القادر المهيري فإنه قد يقرب شيئاً ما مما عهد ، إلا أنه مع ذلك سوف يقرأ عن "الفاظم" و"الهواتم" ويلاحظ أن الكاتب مضطر في أغلب الأحيان أن يضع إزاء المصطلح مقابلة في اللغة التي ترجم منها^(١٧) .

وإن في هذه المحاولات التجريبية ، لدليلاً على أن علم اللسانيات لم يمتزج بعد بجسم النحو



العربي، ولسنا ندرى هل يستقبل النحو العربي تلك العناصر الأجنبية التي يحاول اللسانيون أن يوزعوها في جسمه، لأن السؤال الوارد في هذا الميدان هو: هل النحو العربي في حاجة إلى تطبيق النظريات أو الوظيفية أو التوليدية التحويلية؟^(١٨).

وقد أجاب عن هذا السؤال الدكتور عبده الراجحي بالإيجاب والقبول معتقداً أن المقارنة بين الدراسات اللسانية تعين على التحرك نحو منهج علمي لدراسة اللغة العربية، ويتفق معه في هذا الرأي الدكتور ميشال زكريا الذي يقول: "إن النظريات الألسنية العلمية الحديثة تكون في نظرنا التقنية المتطورة التي تتسلح بها لسير قضايا اللغة وتوضيحها" ويزيد قائلاً: "فالخليل وسيبويه وابن جني قد حللوا اللغة من منطلقات علمية بالإمكان اعتبارها متطورة جداً بالنسبة لعصرهم، مما يبين لنا أن المفاهيم الألسنية المتطورة ليست دخيلة على التراث العربي، فالمطلوب الآن هو إعادة النظر مجدداً في طرائق التحليل اللغوي العربي، على ضوء التطور العلمي الحاصل في مجال الألسنية الحديثة والسعي إلى إيجاد السنية عربية تغدو قادرة على تفهم القضايا اللغوية"^(١٩).

● **تأثر الباحثين العرب بمدرسة تشومسكي:**
لا يخفى على كل من لديه سعة علم في النحو، بأن أكثر الباحثين العرب تأثروا في النحو مباشر بمدرسة تشومسكي التحويلية، ولقد اتفق الوصفيون، سواء سوسير والبراغيون والكوبنهاجيون والأمريكيون على أن يصطبغ الوصف عندهم بالطابع التصنيفي، وأن

يرتبط عندهم بلغة واحدة بعينها ولكن مدرسة أخرى حديثة نشأت في أمريكا على يدي تشومسكي تسمى بـ "المدرسة التحويلية" لا تقف عند حدود التصنيف ولا ترتبط باللغة الواحدة. فهي تدرس الملكة الإنسانية العامة وقدرة الإنسان على استعمال اللغة، ونحاول أن نبني نحواً يقوم على أساس من هذه الملكة، ويستوحي المذهب العقلاني في الفلسفة.

● **ويمكن تخطيط الصلة بين هذه المدارس على النحو الآتي:**

لقد أحدث تشومسكي ثورة في اللسانيات لأنه قوض دعائم علم اللغة الحديث الوصفي، وأقام بناء يختلف في أصوله لاختلاف نظريته إلى طبيعة اللغة. لقد درس تشومسكي علم اللغة والرياضيات والفلسفة في جامعة بنسلفانيا، وزاول النشاط السياسي في الجامعة اليهودية الراديكالية، فكان يميل إلى الاشتراكية، وقد أثرت نزعتة الثورية في الساسة على توجهه اللغوي.

● **توجيهه اللغوي:**

نشأ تشومسكي في مدرسة تطبق طريقة بلومفليد في البحث اللغوي، التي أرادت أن يكون علم اللغة مستقلاً يرفض كل المواد التي لا تخضع للملاحظات المباشرة، وللقياس الطبيعي، واعتبر دراسة "المعنى" اضعف نقطة في علم اللغة، وحاول إخراجها من نطاق البحث، وقصره على الأصوات والنظم على أساس شكلي^(٢٠).

رفض تشومسكي هذا المنحنى الذي يعامل الإنسان باعتباره آله تتحرك حسب قوانين تحددها مواقف معينة، واعتبر أن النحو الوصفي عند بلومفليد لا يمثل إلا أنماطاً

شكلية ، لا تقدم شيئاً يتصل بالإنسان بصفته إنساناً ، فالإنسان إذا ما جرد من المعنى ، ومن العقل ، في وصف سطحي للمكته اللغوية ، فإنه يسقط في مستوى المادة ، بينما ينبغي أن يكون الهدف من الدراسة اللغوية أن تعيننا على فتح طبيعته البشرية . أو ما نرى الأطفال في سن خاصة يستطيعون أن ينطقوا كل يوم مئات من الجمل لم ينطقوها من قبل ، ويستطيعون أن يفهموا جملاً لم يسبق لهم أن سمعوها ، مما يدل على وجود أصول عميقة في التركيب الإنساني تجعله يتميز بهذه القدرة ، فعلى أن نبحت عنها وفيها بالعمق . وهو يرى نتيجة لذلك أن هناك مبادئ مشتركة في كل اللغات الإنسانية تمثل عنصراً أساسياً من الطبيعة البشرية ، ووصف البنية السطحية لا يوصل إليها ، فلا بد أن تسعى إلى معرفة بنيتها العميقة .

وعلى هذا الافتراض ، بنى تشومسكي نظرية ، تقوم على المبادئ التالية :

أولاً: إن كل لغة تتكون من مجموعة محددة من الأصوات (أو من الرموز الكتابية) ومع ذلك فإنها تنتج جملًا لا نهاية لها .

ثانياً: ولهذه اللغة جانبان ، أحدهما الأداء اللغوي الفعلي ، فهو ما ينطق به الإنسان فعلاً ، وهو يمثل "البنية السطحية" للكلام الإنساني والجانب الثاني هو "الكفاءة الكامنة" عند المتكلم والسامع وهي التي تمثل "البنية العميقة للكلام" .

وإلى هذه السنن اللغوية ذاتها أشار توام تشومسكي في سياق حديثه عن البنية السطحية والبنية العميقة للغة ، محدداً مسألة الأداء الكلامي والكفاية اللغوية التي تتيح

للفرد التوصل إلى نسج جمل كثيرة وجديدة بواسطة ما يعمل ذهنه من قواعد وسنن لغوية ، بشرح ريمون طحان هذه العملية اللغوية بكيفية مفصلة فيقول : "إن البنى السطحية نتيجة آليه وميكانيكية لبنى كانت في الأعماق ودفعتها اللغة إلى السطح ، ويبدو أن البنى العميقة هي أسس التفكير وهي التي تستوعب المفاهيم ، وأن البنى السطحية تقوم فقط بصوغ المفهوم على شكل جملة أصولية ، ويبدو أن هناك تماثلاً بين هياكل اللغة وهياكل الذهن ، وتصبح البنى الفكرية الخفية ، قوالب لغوية بارزة واللسان مرآة صادقة تعكس صورة الفكر" (٢١).

إن اطلاع تشومسكي على كثير من العلوم ولاسيما الفلسفة وعلم النفس جعله يفتح نوافذ أغلقتها عواصف الحداثة المتوحشة برداء استقلال اللغة وموضوعيتها ، وبعض آخر لم يفتح لقصور الدرس اللغوي عن بيان أفكاره الرئيسية في الغرب .

فقد تأثر تشومسكي بأراء المدرسة الفلسفية العقلانية التي سادت القرن السابع عشر ، التي كان الفيلسوف "ديكارت" ، من أشهر أعلامها ولذلك كانت آراؤه عن طبيعة اللغة عتيقة للغاية ومناقضة تماماً للسطحية التي تميزت بها آراء اسلافه المباشرين في النصف الأول من القرن العشرين (٢٢).

● عبد القادر الفاسي القهري :

عبد القادر الفاسي من مواليد (١٩٤٧ ، فاس) ، عالم لسانيات وخبير دولي مغربي وأستاذ باحث في اللسانيات العربية المقارنة ، ورئيس جمعية اللسانيات بالمغرب حائز على جائزة الاستحقاق الكبرى للثقافة والعلوم ووسام



العرش من درجة فارس ، تسلمها من الملك الحسن الثاني .

● فكره:

يرى عبد القادر الفاسي القهري أن المغرب لم يعرف تاريخاً لغوياً قسرياً ، تدخلت فيه بالقهر والإرهاب لغرض لغة معينة على المواطنين ، بل أن المقاربة تنبئ تلقائياً عن هوية ثلاثية التركيب ، تجلت مرتكزاتها الأساسية الثلاث قبل الإسلام والعروبة والمروعة ، ويقول أنه من حسن حظ المغاربة أنهم لم يسلكوا منذ البدء غير طريق الاختيار ، ولم يوقفوا القسر أو القهر في سياساتهم اللغوية فظلوا بذلك متحدين وموحدين ومتماسكين في نفس الوقت ، حسب قوله : "...اللغة هوية وسيادة فحسب ، بل هي أيضاً أداة للتنافس المرجعي الفكري والثقافي والمتوقع الاقتصادي والإعلامي والرقمي ، علاوة على التوقع السياسي ، فاللغة ليست مشكلاً ثقافياً أو علمياً أو تقنياً فقط ، طبعاً هذه المشاكل لها أهميتها ، ولكن المشكل بالدرجة الأولى سياسي ، فالأمر يتعلق بسيادة الدولة ولا نهوض ولا تنمية ، دون تحقيق الكرامة للإنسان وحق المواطن في لغته جزء من كرامته .

● آراء عبد القادر الفاسي القهري :

وقد اختلفت نظرة معتنقي ومناصري مدرسة تشومسكي حول اللغة العربية وحول توظيف التراث النحوي ، في وصف اللغة العربية .

● ومن آرائه :

أولاً: أن اللغة العربية لا تتميز بخصائص لا توجد في لغات أخرى بل تضبطها القواعد والمبادئ التي تضبط غيرها من اللغات .

ثانياً: أن توظيف التراث في بناء نحو يصف

اللغة العربية غير ضروري .

ثالثاً: أن الآلة الواصفة الموجودة عند القدماء غير لائقة من كثير الأحوال ، ولقد أوضح هذه المقولات في النصوص التالية :

دأب الدكتور عبد القادر القهري على الدفاع عن القطيعة مع التراث النحوي ، وسعى جاهداً لتسويغ هذه القطيعة ، يقول مثلاً : " فالنماذج الغربية أثبتت كفايتها الوصفية وليس هناك ما يمكن أن يشكك فيها بهذه السطحية " (٢٣) . ثم يؤكد بوضوح رفضه للتراث اللغوي فيقول: " إلا أنه خلاف لما يعتقد ، ليس هناك ضرورة منطقيّة أو منهجية تفرض علينا توظيف هذا التراث " (٢٤) .

ويضيف معمماً : " لا ضرورة منهجية ولا منطقيّة تفرض الرجوع إلى فكر الماضي وتصنيفاته ومفاهيمه لمعالجة مادة معينة " (٢٥) .

إن الدفاع عن القطيعة من التراث النحوي العربي غير مسوغ استيولوجياً ، فهذا تشومسكي مؤسس نظرية النحو التوليدي التحويلي التي يتبناها يعترف بأن مرجعيته في ثورته اللسانية كانت في جانب مهم منها إحياء لما قال به نحاة يور رويال ، ولافكار ديكرات ، وأنه أفاد كثيراً من قراءاته لنحو القرون الوسطى وفي مقدمة ذلك النحو العربي والنحو العبري الذي تأثر بالنحو العربي ، كما هو معروف ، كما أنه اعترف بأنه في مرحلة ما أكب على قراءة سيبويه ، وأن كثيراً من الأفكار التي يحملها نابعة من قراءاته لهذا التراث ، وهو يرفض بصريح العبارة ما يسمى بالقطيعة الابستيمولوجية (٢٦) .

هذا من ناحية أخرى ، فإنني اعتقد ان الدفاع عن القطيعة مع التراث النحوي العربي يستلزم

أن صاحب الدعوى عارف بهذا التراث النحوي العربي الذي يدعو إلى القطع معه؟

● تصور مخطئ للغة العربية :

"ليست العربية كما يدعي بعض اللغويين العرب لغة متميزة تتفرد بخصائص لا توجد في لغات أخرى لا يمكن وصفها بالاعتماد على النظريات "الغربية" التي بنيت لوصف لغات أوروبية، بل العربية لغة كسائر اللغات البشرية، فاللغة العربية بصفقتها "لغة" تنتمي إلى مجموعة اللغات الطبيعية وتشترك معها في عدد من الخصائص "الصوتية والتركيبية والدلالية" ، وتضبطها قيود ومبادئ تضبط غيرها من اللغات، وكونها عربية لا يعني أنها تتفرد بخصائص لا توجد في أي لغة من اللغات، بل لا نكاد نجد ظاهرة في اللغة العربية إلا وتجد لها مثيلاً في لغة أخرى، هندو أوروبية كانت أو غيرهندو أوروبية"^(٢٧).

● تصور مخطئ للتراث وبقول الفاسي القهري:

"ننظر من البحث اللساني العربي أن يهتم بجوانب ثلاثة أساساً: حاضر اللغة العربية، وتاريخها، وتاريخ البحث فيها، والجانب الثالث هو ما تدعوه أحياناً بالتراث اللغوي (اللغوي، النحوي، البلاغي) وبالفعل، فقد سار البحث اللساني في اتجاهين :

الاتجاه الأول: أسميناه بلسانيات الظواهر: تجسد في محاولة بناء انحاء (أو أجزاء منها) للغة العربية الحالية، أو اللهجات العربية الحالية"^(٢٨) إلا أن قليلاً جداً من الأبحاث ما أهتم بنحو اللغة العربية القديمة، وهذا الاتجاه برمته غير منتشر على كل حال في العالم بل جل متزعميه يوجدون في الغرب أو درسوا هناك .

الاتجاه الثاني: اهتم بدراسة التراث النحوي، اللغوي، البلاغي، واقترح قراءات متعددة لهذا التراث، وهذه القراءات على نوعين قراءات تقف عند شرح المادة الموجودة في التراث وتنظمها، وقراءات تحاول أن تنقل مما هو موجود في هذا التراث بقية والخروج به إلى الحاضر، القراءات من النوع الأول نفهمها على أنها مساهمة في التعريف بالتراث وإحيائه وتسهيل الإطلاع عليه، والقراءات من النوع الثاني مساهمة في تاريخ الفكر اللغوي القديم، علماً بأن هذا العمل يكون ضرورة، ذا أبعاد نظرية محدودة، وإنها لا بد من احتياطات منهجية على النتائج التي تصل إليها مثل هذه الأبحاث، نظراً لأن القارئ غالباً ما سقط فيما هو محمل به من تصورات، ويجد في التراث ما لم يكن فيه في ظروفه التاريخية، وما لم يكن في المنظومة المعرفية لعصره .

تصور مخطئ لبعض التطبيقات النحوية لمنظور النحاة في صدارة أدوات الاستفهام، التي عبر عنها الفاسي بالبنى الاستخبارية، يقول الفاسي: الاستفهام في اللغة العربية إما بحروف (الهمزة وهل) أو بأسماء (مَنْ، مَا، متى) وتختص الأسماء باستفهام التصور بينما تكون الحروف للتصديق أصلاً، وتكون الهمزة أيضاً، وفي منظور النحاة هذه الأسماء والحروف لها الصدارة، وإن كان هذا غير صحيح في جميع الأحوال، فالأسماء التي اعتبرها مركبات اسمية أو حرفية أو ظرفية (لأنها تقوم مقامها) قد تظل في مكان داخل الجملة دون أن نتصورها وذلك في نوعين من الاستفهام: الاستفهام - الصدى (وهو استفهام يكرر الجملة الخبرية محافظاً



على الرتبة فيها) والاستفهام المتعدد (وهو استفهام تصوري ينصب على أكثر من مكون) ونجد أمثلة لذلك فيما يلي:

جاء مَنْ؟ (ينبر مَنْ)، من ضرب بماذا؟

فإذا عرفنا من يرجع له الفضل في ماذا امكن ان نحكم بتصبر، وهذا ما يوحي بأن المركبات الأسمية أو الحرفية الاستفهامية توجد أصلاً في داخل البنية الجميلة ثم تنتقل إلى مكان وصفه بعض النحاتين صدر الكلام، ولكن هذا يحتاج إلى تدقيق^(٢٩).

● اللسانيات الوظيفية مدخل نظري احمد المتوكل :

ومن الباحثين في هذا الميدان، الدكتور احمد المتوكل الذي سعى إلى انشاء تيار مستقل عن المدرستين التقليديتين، مدرسة الوصفيين البنيويين ومدرسة النحو التوليدي التحويلي، فكانت جهوده منصبة على ما سماه باللسانيات الوظيفية.

وفي كتابه عن المدخل النظري لللسانيات الوظيفية قدم عينات من التحليلات المفتوحة في إطار النحو لبعض الظواهر المركزية في اللغة العربية، وتنميطاً للجملة العربية، نوردته فيما يلي:

يقول الأستاذ المتوكل صلوا تنميط الجملة فاللغة العربية : تقسم الجملة من حيث عدد الحمول التي تتضمنها قسمين : جملة "بسيطة" وجملة "مركبة" تنتمي إلى القسم الأول الجملة التي تتضمن حملاً واحداً في حين تنتمي إلى القسم الثاني الجملة المتضمنة لأكثر من حمل واحد، ومن أمثلة جمل القسم الثاني التالية:

أ- سافرت هند - أندري ؟ إلى مراكش.

ب- دخل خالد الغرفة وغادرها عمرو.
ج- نشر خالد كتابه الذي ألفه السنة الماضية.
د- يتمنى خالد أن تنجح هند.

ويمكن تقسيم الجمل المركبة، بالنظر إلى طبيعة ترابط الحمول التي تتضمنها، إلى الأنماط الجمالية التالية :

أ- يمكن أن تتوارد في نفس الجملة حمول متعددة بعضها عن بعض، ويحصل هذا النوع من التواجد بين الحمول في نمطين من الجمل، الجمل المتضمنة لحمل "اعتراضي" كالجمله (أ) والجملة المكونة من حمول متعاطفة كالجمله (ب) إلا أن ثمة فرقاً بين هذين النمطين من الجمل إذ أن الحمول المتعاطفة، رغم استقلال بعضها عن بعض، ترتبط فيما بينها بواسطة رابط بنيوي، أداة العطف، في حين أنه لا يربط الحمل الاعتراضي بالحمل المعتراض أي رابط بنيوي.

ب- في مقابل ذلك، يمكن أن يتوارد في نفس الجملة حملان مدمج أحدهما في الآخر كما هو الشأن بالنسبة للحملين المتواردين في الجملتين (ج) و(د)، في هذا النمط من الجمل تنقسم الجملة إلى حمل رئيسي (أو حمل مدمج) وحمل نوعي (أو حمول فرعية).

وتنقسم الحمولة المدمجة إلى حمول تشكل حدوداً بالنظر إلى محمول الحمل الرئيسي وحمول تشكل أجزاء للحدود، فالحمل المدمج الوارد في (د) حمل - حَدْ إذ أنه يشكل الحد المفعول بالنسبة للحمل الرئيسي "يتمنى" في حين أن الحمل المدمج الوارد في الجملة (ج) جزء من الحد المفعول.

كما يمكن تقسيم الحمول الحدود إلى حمول - موضوعات وحمول - لواصق تمثل للحمول

الموضوعات الجملة (د) وللحمول اللواحق
الجملة (أ - ج) :

أ- غادرت هند الغرفة قبل أن يدخل خالد .

ب- غنت هند لتطرب خالداً .

ج- إذا دخل عمرو القاعة غادرها خالد^(٣٠) .

يمكن توضيح التنميط الذي نقترحه للجملة ،
في إطار النحو الوظيفي^(٣١) .

وبعد هذه الكلمة الموجزة عن مبادئ اللسانيات
العامة، ومواقف بعض الباحثين العرب في
محاولة تطبيقها على قواعد النحو العربي،
ومن النحويين الذين عنوا في دراسة النحو
العربي ومناهج اللسانيات الحديثة في دراسة
اللغة العربية الدكتور عبده الراجحي والدكتور
تمام حسان وسنسلط الضوء عليهما.

● اللسانيات والنحو في نظرية الدكتور عبده الراجحي :

يعد الدكتور عبده الراجحي، من النحويين
العرب، الذين اهتموا باللسانيات وقارنوا بين
منهج الوصفيين والتحويليين وبين النحو
العربي والتقليدي، ويقول إن هذه المقارنة
ضرورية في فهم المنهج عند العرب، وفي التحرك
نحو منهج علمي لدراسة العربية .

وفي معرض مقارنة النحو التقليدي بالنحو
الوصفي، لاحظ الراجحي، أن الوصفيين انتقدوا
النحو التقليدي الأرسطي، بأنه يهتم أساساً
بمعرفة العلة ، بينما يكتفي الوصفيون بتقرير
الحقائق اللغوية حينما تدل عليها الملاحظة
دون محاولة تفسيرها بتصورات غير لغوية،
وأنه اعتبر الجملة الخبرية "أساس البحث
اللغوي" وحدد أقسام الجملة حسب وظيفتها
في هذه الجملة، أما النحو الوصفي فيؤكد على
ضرورة تناول كل "النطوق اللغوية" على

ميزان واحد في البحث، وأن النحو التقليدي
لم يميز بين اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة ،
كما خلط مستويات التحليل اللغوي، فتداخل
التحليل الصوتي والصرفي والنحوي تداخلاً
أدى إلى التناقض في الأحكام .

ولما انتقل المنهج الوصفي إلى دراسة النحو
العربي ، ظهرت في المؤلفات الحديثة انتقادات
ارتكزت على القضايا التالية :

أولاً: تأثر النحو العربي بالمنطق الأرسطي
وهي قضية ناقشها المؤلف ، ووصل فيها إلى
النتائج التالية:

أ- إن المنطق الأرسطي لم يكن معروفاً معرفة
كافية أيام الخليل وسيبويه ، ولكن ذلك لا يعني
أن هذا المنطق كان بعيداً عن أيديهم في شكل ما
وقال إننا نستطيع أن نغفل عن أوجه التشابه
بين المنطق والنحو في هذه الفترة ، وبخاصة في
قضية التعليل، وهي تمثل عنصراً أساسياً في
المنهج النحوي عند العرب .

ب- إن تأثير المنطق الأرسطي كان أكثر وضوحاً
في القرون التالية، في التصنيف والتعريف
والاصطلاح.

ج- إنه من "غير المنطق" أن يتأثر النحو تأثيراً
كاملاً بمنهج أرسطو في المنطق لاختلاف الغاية
في كل منهما ومن ثم رأينا "الجملة - التي
هي معقد الدرس النحوي مختلفة اختلافاً
تاماً عنها عند أرسطو" فالجملة عند أرسطو
هي الجملة الخبرية والحمول مقدم فيها على
الموضوع ، وفي النحو العربي خبرية وقد تكون
إنشائية .

د- إن رفض النحاة استخدام المنهج المنطقي
كما تدل عليه المناظرات المنقولة في الكتب ،
ومخالفة النحاة لبعض آراء أرسطو ، كل ذلك



لا يدل على أن المنطق كان بعيداً منهم ولكنه في الحق كان مد ذراعهم .

هـ- إن وجود الأثر المنطقي في النحو العربي دليل على مكانة الجانب العقلي في هذا النحو، وهو جانب كان موجوداً مع الجانب النقلي، في المناخ العالم السائد في البيئة الإسلامية وقت نشأة هذه العلوم وازدهارها ، ووجود هذا الجانب العقلي، وخاصة في مظهره المنطقي كان عنصراً أساسياً من عناصر النقد الذي وجهه المحدثون إلى النحو العربي، غير أنه صار ضرورياً في البحث النحوي عند النحويين^(٣٢) .

ثانياً: إن النحو العربي لم يقعد للعربية كما يتحدثها أصحابها ، وإنما قعد لعربية مخصوصة تتمثل في مستوى معين من الكلام هو في الأغلب نص قرآني ، أو شعر أو مثال، ولذلك لم يشمل اللغة التي يتكلمها الناس في شؤون الحياة ، وأن هذا الاختيار أدى إلى اللجوء إلى التأويل ، والتقدير وامتساق التفسير والأحكام إلى الضرورة أو إلى الشذوذ بل إلى " وضع " نصوص تسند بعض هذه الأحكام .

وبين الدكتور الراجحي في هذا الباب الأنسياق الذي نشأ فيه النحو العربي ، وأهدافه الأولى التي هي استخلاص القوانين التي تدور عليها لغة القرآن الكريم .

ثالثاً: إن النحو العربي حدد بيئة مكانية وزمانية للغة التي تناولها التعقيد ، وذكر الدكتور الراجحي رأي محمد كامل حسين القائل " ونحن ما نقرهم على تحديد الصحيح من اللغة مكاناً بالجزيرة العربية أو زماناً صحيح ، فأكثره مضطرب ومتناقض ، والإبقاء عليه عبث ، وعلى أن ما يرد خطأ ، فهذا قالب من جديد وضع اللغويين لغتنا فيه لا يسمح

المحدثون لأنفسهم أن يتقيدوا به "^(٣٣) . وبين الدكتور الراجحي الأسباب التي أدت إلى هذا التحديد ، وأورد ما قاله ابن جني في ترك الأخذ بلغات قبائل معينة .

رابعاً: إن النحو العربي لم يميز بين مستويات التحليل اللغوي ، فكانت كتب النحو تجمع بين دراسة الظواهر الصوتية ، والصرفية والنحوية، غير أن هذا الجمع مزج مزجاً كلياً بين طرق التحليل وإنما هو جمع كل القواعد التي تمكن من استعمال اللغة ، نطقاً وتركيباً وكتابة ، ثم إنهم انتبهوا إلى خصائص كل نوع من هذه المستويات مما جعل المازني يخصص مؤلفاً للتعريف ، وأبن جني يقود الصوتيات بكتابه " سر صناعة الأعراب " .

لقد كان نقد الوصفيين للنحو العربي مبنياً على أنه يعنى بقضايا عقلية لا تخضع للملاحظة، ولكن ما اعتبره الوصفيون نقاط ضعف في نهج النحو التقليدي ، صار محل تقدير والتقاء مع المنهج التحويلي ومن هذه الجوانب :

أ- قضية الأصلية والفرعية: يراها النحويون أساسية في فهم البنية العميقة وتحولها إلى بنية السطح ، وذكرها منها الألفاظ " غير المعلمة " واعتبروها أكثر تجرداً ، فجعلوا المفرد أصلاً ، والجمع فرعاً لأنه لا يحتاج إلى علامة، والفعل في الحاضر أصل ، وفي الماضي فرع لأنه يحتاج إلى علامة ، وقريب من هذا ما يقوله سيبويه إن الأشياء أصلها التذكير ثم تختص ، والتذكير أشد تمكناً ، كما أن النكرة أشد تمكناً من المعرفة .

ب- قضية العامل: والتحويليون يقررون

أن النحو ينبغي أن يربط البيئة العميقة ببنية السطح ، وهذا ينبغي منهم علاقات التأثير والتأثر بينهما ، وقضية العامل تقود إلى قضية "التقدير" ، التي تقرر في التحليل النحوي عند النحويين ، وإذ يرون أنه يمكن أن نفهم على ضوءها ظواهر مشتركة في جميع اللغات وهي ظواهر الحزن ، والزيادة ، وتفسير الترتيب .

ج- قواعد الحذف : وهي معروفة في جميع اللغات ، ولها أمثلة في اللغة الانكليزية اشتهر بها التحويليون ، وقواعدها مشهورة في النحو العربي .

د- قواعد الزيادة والإقحام : يعتبر التحويليون أنه توجد في اللغات تراكيب نظامية تدخل فيها كلمات لا تدل على معنى في العمق ، وإنما تقيد وظيفة تركيبية ، قد تعد لونا من ألوان الزخارف ، ويعطون أمثلة قريبة من أمثلة الزوائد الموجودة في اللغة العربية .

هـ قواعد إعادة الترتيب : إذا كان لكل لغة ترتيبها الخاص ، والمهم معرفته في البنية العميقة ثم البحث عن قوانين تحويلية إلى أنماط في الكلام الفعلي ، وقد لاحظ التحويليون أن عناصر الجملة معرضة لتغير مكانها فعنوا مثل قدمات العرب بظاهرة^(٣٤) التقديم والتأخير .

● اللسانيات واللغة العربية في نظر الدكتور تمام حسان :

لقد استهدف الأستاذ تمام حسان تنظيم قواعد اللغة العربية انطلاقاً من مبانيها الأصلية ، فاعتمد في تصور هذا التنظيم على نظريات البيانيين في علم المعاني وبالخصوص أفكار

عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز ، كما استثمر مباحث الأصوليين في تحليلهم للخطاب الشرعي ومناهجهم في ضوابط الدلالات اللغوية ، وحاول الأستاذ تمام أن يكون هذا التنظيم منطقياً وموازياً نوعاً ما للمقولات الغربية التي استخدمها علماء اللسان ، ومما هو واضح تأثره بأراء فرديناند دوسوسير في التفرقة بين اللغة والكلام ، واعتبار اللغة مؤسسة اجتماعية ، وباختصار شديد يمكننا أن نقول إن الأستاذ تمام حاول :

١- أن يعيد النحو إلى اللغة ، بعد ما كان مادة منفصلة ، شملت دراسة الصوتيات ، والصرف ، والنحو ، والمعجم .

٢- وأن يفرق بين النظام الصرفي والنظام النحوي ، مع أن المباحث الصرفية ، شملت عند بعض المواد النحوية مثل أقسام الكلام .

٣- وأن يضع ضوابط لكل نظام ، في أشكال ثابتة وكل شكل له اصطلاحه الخاص به .

● ومن آرائه :

التفريق بين اللغة والكلام : يقول تمام حسان "إن الكلام عمل ، واللغة حدود ، هذا العمل ، والكلام سلوك واللغة معايير هذا السلوك ، والكلام نشاط واللغة قواعد هذا النشاط ، والكلام حركة ، واللغة نظام هذه الحركة ، والكلام يحس بالسمع نطقاً ، والبصر كتابة ، واللغة تفهم بالتأمل في الكلام ، فالذي تقوله أو تكتبه كلام ، والذي نقوله بحسية ، ونكتبه بحسية هو اللغة ، فالكلام هو المنطوق ، وهو المكتوب ، واللغة هي الموصوفة ، في كتب القواعد ، وفقه اللغة ، والمعجم ونحوها ، والكلام قد يحدث أن يكون عملاً فردياً ولكن اللغة لا تكون إلا اجتماعية^(٣٥) فاللغة إذن



منظومة عرفية للزمن تعود إلى نشاط المجتمع، وهذه المنظومة تشتمل، على عدد من الأنظمة (سماها بالأجهزة) يتألف كل واحد منها من مجموعة من "المعاني" تقف مجموعة من الوحدات التنظيمية، أو "المباني" المعبرة عن هذه المعاني، ثم من طائفة من "العلاقات" التي تربط ربطاً إيجابياً، و "الفروق" أو القيم الخلفية التي تربط ربطاً سلبياً - بإيجاد المقابلات ذات الفائدة - بين أفراد كل من مجموعة المعاني وأفراد مجموعة المباني^(٣٦).

وكل من الخليل وسيبويه انطلقا من مستوى استعمالي للعربية فالخليل وسيبويه انطلقا من كلام العرب وعبد القاهر انطلقاً من القرآن الكريم .

وأما الدكتور تمام حسان فقد انطلق من كتب التراث النحوي والصرفي في وصفها اللغة بمنهج جديد وقراءة جديدة لهذا التراث اللغوي محاولاً تصنيفه وفق نظرية حددها بأنها نظرية المعنى "لأن كل دراسة لغوية لا في الفصحى فقط بل في كل لغة من لغات العالم لابد أن يكون موضوعها الأول والأخير هو المعنى وهذا النوع من النظر إلى المشكلة يمتد من الأصوات إلى الصرف إلى النحو إلى المعجم إلى الدلالة"^(٣٧).

إن مفهوم المعنى الذي عرضه الدكتور تمام بأقسامه الثلاثة المعنى الوظيفي والمعنى المعجمي للكلمة والمعنى الاجتماعي وهو المقام كل ذلك "منتزعا انتزاعاً مباشراً من نظرية السياق context of intwation"^(٣٨).

وكما أن المعاني الصرفية غير المعاني النحوية، نجد المباني تتنوع بين فرع وآخر من فروع الدراسات اللغوية، فالمباني المأخوذة من

النظام الصوتي حروف (فورنمات) وهي في النظام الصرفي وحدات حرفية (مُرقمات) ويعتمد النحو في التعبير عن معانيه وعلاقاته السياقية على هذين النوعين من المباني كالحركات والحروف، والزوائد واللواحق والصيغ^(٣٩).

وبدلاً من اعتماد تقسيم الكلام إلى اسم وفعل وحرف، وعلى اعتبار المبنى والمعنى توصل إلى تقسيم الكلمة العربية سبعة أقسام:

الاسم، الصفة، الفعل، الضمير، الظرف، الأداة^(٤٠) فهذه الأقسام هي مباني التقسيم الرئيسية وهي "حجر الزاوية في النظام الصرفي للغة الفصحى" والثلاثة الأولى (الاسم والصفة والفعل) ذات أصول اشتقاقية ولذا يعتبر كل منها أساساً لمجموعة أخرى من المباني الفرعية كل منها بمثابة "قالب تصاغ الكلمات على قياسه يسمى الصيغة الصرفية"^(٤١)، أما ما لا يرجع إلى أصول اشتقاقية من مباني التقسيم وهو الضمير وأنكر الخوالب والظرف والأداة هي صورها المجردة إذ لا صيغ له^(٤٢) ويسمى صلبة مقابل المشتقة التي يقسمها إلى جامدة مثل رجل وكتاب وفرس وماء وتراب، ومتصرفة كالفعل بتصريفاته (الماضي والمضارع والأمر والمصدر وصفات الفاعل والمفعول والمبالغة والتفضيل والصفة المشبهة والهيئة والآلة والمكان...).

إن هذه المباني تمثل البعد الرأسي إذا ما "تصورنا النظام الصرفي في صورة جدول تتشابه فيه العلاقات والمقابلات"^(٤٣).

وقد قسم الاسم على خمسة أقسام، هي: الاسم المعين: كالأسماء الأعلام، والأجسام، والأعراض، ومنه ما أطلق عليه اسم الجثة،

الوارد في قول ابن مالك : ولا يكون اسم زمان
خبراً عن جثة وإن يفد فأخبراً .

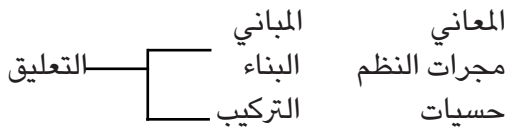
● النحو والدلالة :

ان التقاء النحو والدلالة ماهو الا كشف عن
هذا الجانب المهم في تراثنا النحوي ، ومدى
اهتمام علمائنا القدماء به الغرض منه ان
يكون مدخلا لدراسة (المعنى النحوي الدلالي)
وان يعود للنحو العربي دوره الفعال في فهم
النص وكشفه . وقد كان النحو العربي منذ
نشأته الاولى مهتما بالمعنى يعتد به وبدوره
في التعقيد وهناك تفاعل قائم مستمر بين
الوظيفة النحوية والدلالة المعجمية للفرد
الذي يشغل هذه الوظيفة ويشكل هذا التفاعل
بينهما مع الموقف المعين المعنى الدلالي للجملة
كلها . والجملة هي الغاية الاولى لكل نظام
نحوي اذ يعمل على كشف تركيبها ويحاول
ان يربط بين الصورة الصوتية المنطوقة لها
والمعنى المراد فيها من خلال النظام العقلي
الذي يحكمها والنحو للغة كالقلب من الجسد
كما يقول تشومسكي واذا كان القلب يمد
الجسم الانساني بالدم الذي يكفل له الحياة
فان النحو يمد الجملة بمعناها الاساسي الذي
يكفل لها الصحة ويحدد لها عناصر هذا المعنى
ولقد ظهرت دراسات مستقلة في العربية عن
علم الدلالة وقد انحصر جهد اصحابها في دلالة
الفرد المعجمية منذ اول كتاب صدر في هذا
الفرع من العلم سنة ١٩٥٨ وهو كتاب دلالة
الالفاظ للدكتور ابراهيم انيس - الى اخر كتاب
صدر في هذا الفرع وهو كتاب "علم الدلالة
"١٩٨٢" للدكتور احمد مختار عمر ومع
اهمية هذا البحث في هذا الجانب وضرورته في
واقع الامر تتكلم بالمفردات بل بالجملة ودلالة

المفرد المعجمية تتوقف على استعماله في تراكيب
مختلفة اي في علاقات نحوية من ان بعض
العلماء المحدثين يرى ان معنى كلمة مالا يمكن
تحديده الا بمعرفة معدل الاستعمال اللغوي
من ناحية ومعدل الاستعمالات اللغوية يعني
حصر التراكيب التي ترد فيها الكلمة ولذلك
تبقى الحاجة الى البحث في الدلالة التركيبية
"او المعنى النحوي الدلالي مطلباً قائماً" (٤٤) .

● النحو والبلاغة :

ان موقف البلاغة من جعل الدراسات اللسانية
والبلاغية ليست ميدانا واحدا وانما هي ثلاثة
ميادين مختلفة الطابع كما رأها السكاكي:
المعاني والبيان والبديع . فالمعنى اقرب شيء الى
النحو من حيث انها تتناول التركيب والسياق
ثم ان المعاني والنحو يقسمان النظر في التركيب
على نحو ما سبق القول في ذلك فالنحو يبدأ من
الابواب المفردة وينتهي بالجملة والمعاني تبدأ
بالجملة وتصل منها الى السياق ولقد صرح
بهذه العلاقة بين النحو والمعاني او البلاغة عبد
القاهر الجرجاني فانشأ فكرة النظم ونسبه
الى المعاني وجعل المنظومة هي معاني النحو
ووضع لنظريته نموذجا يمكن عرضه على
النحو التالي:-



فالنظم نظم المعاني في النفس ، والبناء نسبة
مبنى حرفي مجرد الى كل معنى كأن ننسب
الى الفاعلية اسما مرفوعا ، والى المفعولية
اسما منصوبا ، يقطع النظر عن امثلة الاسماء
كزيد وعمرو فاذا تم هذا الاختيار المجرد تلتها
الامثلة التي تنتمي الى المباني المذكورة وجاء
دور الترتيب فترتب الامثلة ترتيبا معيناً في



الكلام بحسب مواقعها من انماط الجملة بحيث لا يتقدم ما يستحق التأخير ولا يتأخر ما يستحق التقديم ثم يقوم^(٤٥) التعليق بربط هذه العناصر بواسطة الضمائر والادوات والمطابقات هذا ما صرح به عبد القاهر ما يخيل الي انه كان قد فهم عبد القاهر نفسه للمسألة وسواء كان هذا الفهم صحيحا ام غير صحيح فبحسب هذا النموذج ان يضم الى النظم عناصر وافكاراً لاتكون الا في النحو كالبناء والترتيب والتعليق فذلك امر يجعل الرابطة بين النحو وعلم المعاني غير قابلة للمراء^(٤٦) والبيان علم المعنى ان البيان يشتمل على ظواهر تركيبية تقرب من النحو كالحذف البياني (او مجازف الحذف) وكالمجاز الفعلي (وهو يكون في الاسناد في الافراد) ذلك ان الاجابة على ذلك ان الحذف البياني لا يدعي ان عنصرا معينا كان في الجملة ثم حذف بحسب قاعدة، وانما يقول ان هذا التعبير الكامل نحويا والمطابق للقواعد يشتمل على مفارقة معجمية يمكن علاجها بتقدير محذوف كما سبق في الكلام عن قوله تعالى "واسأل القرية التي كنا فيها" اما المجاز الفعلي فيصلح لعلم المعاني باعتبار دوراته حول الاسناد. ولان يكون في المواضيع البيان باعتبار المفارقة المعجمية التي سبق القول فيها^(٤٧) ويبقى علم البديع في مجاله المختلف تماما عن المجالين السابقين. فاذا عني علم المعاني باقامة الصرح، وعلى البيان بتقديم اللبنة ومواد البناء، فان علم البديع يعني بطلاء المبنى وزخرفته فهو علم طرق التحسين الكلي القائم فالمعاني يبدأ موضوعها بالتفريق بين اسلوب الخبز والانشاء ثم التفريق بين أضرب الخبز وأضرب الانشاء: ثم

يدرس فيما بقي من موضوع ظواهر أسلوبه كالفصل والوصل والحذف والايجاز والاطناب ... اما البديع فطرق التحسين عنده من قبيل الاساليب ايضا قد يكون الاسلوب مسجوعا او غير مسجوع مشتملا على الطباق او غير مشتمل، وهلم جرا، لان الاسلوب وهو الاختيار الفردي للمتكلم او الكاتب، يبدأ بعد الوفاء بمطالب القواعد النحوية، واذا صح هذا الايضاح فان البلاغة في مجموعها تدور حول الاساليب^(٤٨).

الهوامش

- (١) تطور الدرس النحوي، د. حسن عون: ص ٥٣ وينظر: موضوعات نظرية النحو العربي: ص ٦٧.
- (٢) ينظر: دلالة الألفاظ، إبراهيم: ص ٦١ وينظر: الدلالة، حامد كاظم: ص ١٣.
- (٣) ينظر: عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية: ١٦١ وينظر: علم الدلالة أصوله ومباحثه: ص ٥٦.
- (٤) ينظر: الصحابي في فقه اللغة لأبن فارس: ص ٥ وينظر: الخصائص، أبن جني: ج ١/ ص ٤٠-٤١ وينظر: الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى، د. حامد: ص ٨٢.
- (٥) أطلق عليها سوسير مصطلح "ميكانيزم" محاضرات في اللسانيات العامة: ص ١٧٧ وينظر: علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي: ص ٢٥ وينظر: اللغة العربية معناها، تمام حسان: ص ٣٤.
- (٦) التعريفات للجرجاني: ص ١٠٨.
- (٧) ينظر: المعنى في النحو، لأبن فلاح: ص ٩ ومجيب الندا شرح قطر الندى: ج ١/ ص ٦٩.
- (٨) دلالة الألفاظ، لإبراهيم: ص ٤٤.
- (٩) ينظر: المعنى في النحو: ص ٤٤-٦١.
- (١٠) عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية: ص ١٠٤ وينظر: علوم الدلالة أصولها وأسسها: ص ٥٧.

Cowrsde hngwisiqwe genrole,p:343.

- (٢٥) المصدر نفسه .
- (٢٦) المصدر جوانباً مع تشومسكي المنشور باللغة الانكليزية في مجلة اللسان العربي .
- (٢٧) المصدر في اللسانيات واللغة العربية: ص ١٨ .
- (٢٨) المصدر نفسه : ص ١٨٠ .
- (٢٩) يُنظر: اللسانيات واللغة العربية: ص ١٨-١٩-٥٩
- (٣٠) أحمد المتوكل ، اللسانيات الوظيفية ، مدخل نظري .
- (٣١) أحمد المتوكل ، اللسانيات الوظيفية ، مدخل نظري .
- (٣٢) يُنظر : تاريخ الشرق والغرب ص ٧٠١ .
- (٣٣) يُنظر : النحو في المشرق والمغرب .
- (٣٤) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها: ص ٣٢ .
- (٣٥) يُنظر : تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب: ص ٧٠٥ .
- (٣٦) العربية معناها ومبناها : ص ٩ .
- (٣٧) العربية وعلم اللغة ص ٢٠، حلمي خليل: ص ٢٢٤ ويُنظر : ص ١٣١ .
- (٣٨) يُنظر: العربية معناها ومبناها ، زهير غازي : ص ٨٧-٨٨ .
- (٣٩) يُنظر : المصدر نفسه: ص ١٣٢ .
- (٤٠) العربية معناها ومبناها : ص ١٢٢ .
- (٤١) العربية معناها ومبناها : ص ١٣٢ .
- (٤٢) العربية معناها ومبناها : ص ٨٣ .
- (٤٣) ينظر: النحو والدلالة المدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، ص ٩-١٠ .
- (٤٤) الاصول: ص ٣٤٩ .
- (٤٥) المصدر نفسه، ص ٣٤٩ .
- (٤٦) الاصول: تمام حسان، ص ٣٤٨ .
- (٤٧) ينظر: النحو والدلالة ، ص ٩-١٠ .
- (٤٨) الاصول: تمام حسان : ص ٣٤٩-٣٥٠ .
- علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي : ص ٦٥ .
- (١٢) المصدر مجلة الفكر العربي ، العدد ٨-٩ الألفية أحدث العلوم الإنسانية: ص ١٠٤ ويُنظر : تاريخ النحو في المشرق والمغرب ص ٦٨٩ .
- (١٣) ينظر : علم الدلالة ، تأليف بالمر : ص ١٠ ، ويُنظر : اللغة العربية معناها ومبناها ، تمام حسان : ص ٣٤ ، وينظر الأصول : ص ٢٣٩ .
- (١٤) يُنظر : الأصول ، تمام حسان : ص ٢٣٩ .
- (١٥) يُنظر : الأصول ، تمام حسان : ص ٢٣٩ ويُنظر: تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب : ص ٦٩٠ .
- (١٦) المصدر وقائع الندوة الدولية الأولى لجمعية اللسانيات بالمغرب : ص ١٤٢ .
- (١٧) المصدر أهم المدارس اللسانية .
- (١٨) يُنظر : تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب: ص ٦٩١ .
- (١٩) ميشال زكريا: الألسنية التحليلية والتوليدية وقواعد اللغة العربية: ص ٥ ويُنظر : قضايا نحوية ، مهدي المخزومي: ص ٨-٩-١٤
- (٢٠) يُنظر : الألسنية التحليلية والتوليدية وقواعد اللغة العربية: ص ٥ .
- (٢١) ريمون طحان ، الألسنية العربية : ص ١٤٤ ويُنظر : الألسنية التحليلية والتوليدية وقواعد اللغة العربية: ص ٥-١٢ ويُنظر : علم الدلالة تأليف بالمر: ص ١٤٢ ويُنظر : الأصول ، تمام حسان : ص ٢٣٩ .
- (٢٢) يُنظر : أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة : ص ١١٣-١١٤ ، تأليف د. نايف خرما ، عالم المعرفة سلسلة كتب .
- (٢٣) الفاسي القهري : "ملاحظات حول الكتابة اللسانية" مقال نشر ضمن كتاب سنة ١٩٨٨ .
- (٢٤) المصدر نفسه .



Modern Linguistics in Arabic Grammar

By: Dr.Ghanem Odeh Sharhan

(Center of revival of Arabian science Heritage)

University of Baghdad

Abstract

The research deals with what Arabic grammar contained in its old and modern school orientations from the ideas of linguistics and its issues, Since linguistics taught the study of language in its inception and evolution and laws that study the performance of language characteristics and methods.

Old Arabic grammar has known many of the school's linguistic ideas and its circulation, although these Scientists did not provide the same names and modern terminology, The research is also based on the view that human languages respond to common linguistic values in which they are involved.

From this point of view, the researcher sought to consolidate aspects of the modern linguistic lesson through the specialities of the Arabic grammar lesson and its ancient and modern studies.

